ماضي القرويين وحاضرها

للأستاذ عبد الله كنون الحسني

— ٣ —

وليس لأوقات الدراسة ضابط معين بل النهار كله من طلوع الفجر إلى المغرب وقت صالح للتدريس وتزاد عليه الحصة الواقعة بين العشاءين أيضاً . والدرس قد يمتد إلى الساعتين والثلاث بحسب قوة الأستاذ . وتدرس العلوم العقلية والنقلية في الصباح والمساء على السواء ، إلا أن الغالب تخصيص الحصة التي بين العشاءين بالدروس الدينية والتهذيبية والوعظية من التفسير والحديث والفقه لحضور العامة لها إذ يكون الوقت وقت فراغ وانصراف عن الشغل . وكذا يقال في الدرس الأول الذي يكون عقب صلاة الصبح . وأيام العطلة هي في الغالب الأخمسة والجمع وأسابيع الأعياد وأيام المواسم . على أن منهم من يغتنم فرصة هذه الأيام فيقرأ فيها فنوناً متنوعة في كتب صغيرة مما ينتهيا ختمه في مدة قريبة

ومواد الدراسة لا تنضبط بعدد ولا تستقر على حال . على أن الدروس الدينية واللغوية لم تنقطع من الجامعة في وقت من الأوقات ودائماً تكون لها الأغلبية ، في حين أن العلوم العقلية منها ما لا ينهض إلا بمناصرة السلطة التي يكون هواها مع هذا العلم أو ذاك كما حصل على عهد الموحدين من إحياء علوم الفلسفة والأخذ بضبع أهلها لما كان من ميل يوسف بن عبد المؤمن (مأمون المغرب) لها وشغفه بها . ومنها ما كان يروج وينفق إذا وجد من يحسن القيام عليه والدعوة إليه من أهله المتحققين به المتفرغين له كالنهضة العظيمة التي كانت لعلوم الرياضة على عهد المرينيين ، والتي أوجدها أفراد من العلماء كانوا في عهدهم منقطعي القرين في تلك العلوم

ثم الطلبة قسمان : (١) أهليون ونعني بهم أبناء فاس ، وما زال أهل فاس من أحرص الناس على طلب العلوم الدينية في القرويين (٢) وآفاقيون ومنهم الواردون على فاس من مختلف المدن والقرى في المغرب بل والجزائر والصحراء ، وعددهم يتراوح بين (٥٠٠) و(٧٠٠) طالب . ومحل سكناهم المدارس التي سبق الكلام على بعضها ، ويتناولون من الأوقاف بصفة مؤونة رغيفاً واحداً في اليوم . ولبعضهم جرايات وقفية لا بأس بها يأخذونها مقابل بعض الأعمال التي يقومون بها في المساجد الأخرى والقرويين نفسها

(جلالة السلطان سيدي محمد والوزراء جالسون بين يديه)

وكان للطلبة قبل هذا الأوان سولة كبيرة بحيث أن السلطة لم تكن تتدخل في شؤونهم وإنما يرجعون في فصل خصوماتهم إلى مقدميهم وإلى الأساتذة . ومما يدل على مزيد الاعتبار الذي كان لهم سواء عند الشعب أو الحكومة ، تلك النزهة الربيعية التي كانوا يقيمونها كل سنة على ضفاف وادي الجواهر خارج فاس ويشارك فيها جميع طبقات الشعب والحكومة نفسها فيرسل السلطان ممثله ، ويهدي السلطان الى الطلبة هدية جميلة في مهرجان حافل ، بينما يقدم الطلبة على لسان سلطانهم طلبات مهمة إلى السلطان ، وقد يكون فيها العفو عن مجرم أو الرضا عن قبيل ما ، أو تحريرهم من مغرم ونحوه إلى غير ذلك ، فتنفذ الطلبات بسرعة ويرجع الطلبة مغمرين بالسرور والزهو والحبور . وهذه النزهة لا زالت تقام حتى اليوم لكن لم يبق لها الاعتبار السابق

وإذا نظرنا إلى تاريخ العلوم في القرويين نجد أنها اجتازت بثلاث مراحل مهمة :

الأولى: عند قيام الدعوة الموحدية في منتصف القرن السادس حيث انتصر مذهب الأشعرية في الاعتقاد على مذهب السلف

الذى كان عليه أهل المغرب منذ البدء ، فدخل علم الكلام على طريقة الأشعرى بما يستلزمه من نظريات الفلسفة ومقدماتها إلى القرويين وتوطد أمره فيها منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا

والثانية : عند ما أعلن يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين الحرب على علم الفروع وعمل على نشر السنة بالترغيب والترهيب وأحرق كتب الفقه من المدونة والتهذيب والواضحة وغيرها ، فانصرف الناس إلى علوم الحديث والتفسير وإحياء ما اندثر من أصولها وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى الدراسات الاسلامية بالقرويين

والثالثة : عند ما أصدر السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى منشوره الاصلاحى الهام إلى الشيخ التاودى بن سودة ، وكان رأى ما آلت إليه الحركة العلمية فى القرويين من الفتور والاضمحلال فساءه ذلك المآل وعمل على بعثها وتجديدها بما أثر فى حياتها المستقبلة بعد ذلك تأثيراً بليغاً

هذا مجمل نظام القرويين والحالة العامة التى كانت عليها إلى انقضاء الثلث الأول من القرن الرابع عشر الحاضر . وبعد ذلك فى عام ١٣٣٢هـ دخلت الكلية فى طور الاصلاح والتنظيم الحديث إذ أصدر السلطان مولاى يوسف رحمه الله أمره بتأسيس مجلس للنظر فى شؤون القرويين ووضع برنامج للدراسة فيها ، فتألف المجلس ووضع البرنامج ، وكان من أهم ما اشتمل عليه مما يُعدُّ حدثاً جديداً فى تاريخ الكلية ، تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائى وثانوى ونهائى، وتقرير نظام المراقبة والامتحانات؛ ولكن تنفيذ هذا البرنامج كان من العسير لمخالفته لمألوف الناس الذين يقفون كثيراً مع العادات . وجاءت مشاركة بعض الشخصيات الغربية فى وضعه ضغثاً على إبالة ، فاستراب الناس به حتى من كان يحب الاصلاح ويميل إلى التجديد . وهكذا بقى ما كان على ما كان. وحدث أن السلطة كانت تستخدم بعض الشخصيات البارزة من العلماء فى مختلف المصالح ، والبعض الآخر كان ينتشر عقده بالموت ، فلم يشعر الناس إلا وجامع القرويين يكاد يغص فيه البوم والغراب خلوه من أهل الكفاية والجد الذين كانوا يعمرونه بالدروس النافعة الشائعة ولا يبتغون على ذلك ثواباً ولا أجراً . فضاقت الأفكار وساءت الظنون وكثرت المساعى التى ترمى إلى الاصلاح العملى والتنظيم الجدى ، فما كان إلا أن صدر الأمر الملكى المحمدى الكريم بذلك ونفذ فى محرم فاتح عام ١٣٥٠ ولا يزال العمل عليه إلى الآن

ينص هذا الأمر على تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام كالسابق ويزيد عليه بجعل القسم النهائى على نوعين : دينى وأدبى . ويحصر مدة الدراسة فى (١٢) سنة منها ثلاثة للابتدائى وستة للثانوى وثلاثة للنهائى . وفضلاً عن تقريره لجميع العلوم الشرعية وآلاتها التى كانت تدرس فى الكلية من قبل — فإنه أضاف إليها علوماً جديدة كالتاريخ والجغرافية والهندسة وجعل عدد الأساتذة النظاميين (مبدئياً) ٣٢ وعين لهم أجوراً لا بأس بها ، وحدد مدد العطلة ، وضبط أمر امتحانات النقل والتخريج ، وبين نتائج النجاح وما يخوله نيل الشهادة فى كل من الأقسام الثلاثة

(يتبع — طنجة) عبد الله كنون الحسنى

اقرؤا الديوان الخالد

﴿ هكذا أغنى ﴾

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

ديوان الطبيعة ، والفن ، والجمال

ظهر حديثاً — ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى وسائر المكاتب الشهيرة بمصر والأقطار العربية

الثمن ١٠ قروش — وللجملة أسعار خاصة

معهد التناسليات

معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس لتصيه شفاه فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والأمراض الشواذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة القذف طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ وعصر ٤-٦ .. ملاحظة : يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة البيولوجية المختبرية على ١٤١ سؤالاً التى يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش